شاه ايران

كالاهان

قابوس

كالاهان

يلج حلبة الصراع على قهوة حصان سعودي

في اواخر الشهر الماضي قام جيمس كالاهان بجولة واسعة وسريعة في الجزيرة والخليج العربي . زار خلالها كل من : السعودية والكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان . واتحاد الامارات . الاوساط السياسية اولت هذه الزيارة اهتماما خاصا . واعتبرتها شبيهة بتلك التي قام بها المبعوث البريطاني وليام لوس، عندما زار هذه الدول في اواخر عام ١٩٧٠ ، حينما كانت « لندن » ما زالت تبحث عن الصيغة النهائية التي ستترك عليها الاوضاع السياسية في هذه الساحة قبل ان تغادرها . وطبيعي ان مثل هذه المقارنة تجعلنا نتوقع ان تشهد هذه المنطقة مجموعة من الاحداث والتطورات الهامة التي ستحركها وتدفع بها اصابع الوزير البريطاني :

اتى اعلان بريطانيا عن انسحابها من الخليج العربي استجابة للتدهور الذي اصاب اقتصادها والازمة الحادة التي كانت تعصف بالاسترليني ، واعترافا منها بزعامة الامبريالية الامريكية وبالتالي فرض سيادتها على هذه المنطقة الاستراتيجية التي حرصت بريطانيا على الاحتفاظ بالسيطرة عليها ، والاستفراد بنهب خيراتها ، والمحافظة على المصالح الامبريالية فيها .

ومنذ بداية هذا العقد شمرت الولايات المتحدة عن سواعدها للا ما اطلقت عليه بالفراغ الذي خلفه بريطانيا بعد انسحابها . فاستاجرت قاعدة الجفير ، وحولتها الى احدى قواعدها المعقدة وذات الكفاءة العالية في ميدان الاتصالات بعد ان وضعت فيها قيادة اسطولها العام في المحيط الهندي . وظلت تطارد بريطانيا من اجل انتزاع قاعدة مصيرة « العمانية » التي ما زالت بريطانيا متشبثة بها وترفض التزحزح نهائيا عنها . وهذا ما جعل صراعها ينتقل بشكل اساسي الى سلطنة عمان ويتصاعد فيها ويدفع بريطانيا لان تزيد من حجم حضورها العسكري في هذه الساحة . وتوسع دائرة مساهمة قواتها في الحرب العدوانية ضد الشعب العماني . اما امريكا ففضلت ان تعطي هذه المسؤولية لشاه ايران ، الذي قذف بقطاعات واسعة من قواته لتشن اشرس حرب عرفتها عمان في تاريخها الحديث . مدعيا انه انما يقوم بذلك دفاعا عن « امن المنطقة واستقرارها » .

الا ان تطور الاحداث في ساحة الجزيرة والخليج العربي . لم يسمح بحصر الصراع داخل حدود سلطنة عمان فاستدعى امتداده ليشمل ساحة الخليج برمتها . ولم يكن مشروع « الامن الخليجي » الذي بشرت به ودعت اليه طهران الا محاولات امريكا لخلق مؤسسة قمعية تاخذ على عاتقها مهمة الحفاظ على المصالح الامبريالية على امتداد هذه المنطقة . وتضمن سيادة الولايات المتحدة عليها. وهذا ما جعل بريطانيا تنظر اليه على انه في الوقت ذاته مسمار جديد يدق في نعش مطاردتها في هذه الساحة ويدفعها الى استغلال النعش الذي اعترى المد الامريكي بسبب هزيمة الولايات المتحدة في الهند ـ الصينية ، وتزعزع مكانتها كزعيمة للمعسكر الامبريالي من جراء ذلك ، ومحاولة الدخول في صراع جديد معها لعله يعطي بعض المردودات بغض النظر عن ضالة حجمها . ومن الواضح ان مسارعة فرنسا الى استغلال الثغرات التي حدثت في جسم الزعامة الامريكية والتسلل منها، لعب دوره في ان تحث بريطانيا خطاها ، لكي تتجنب اي تخلف زمني تدفع ثمنه باهظا في المستقبل في الخليج ويؤثر من الان على اوضاعها ونشاطاتها في السوق الرأسمالية .

كل هذا يجعلنا نستشف ان الجولة ـ الاطلالة التي يقوم بها كالاهان تهدف لتحقيق ما يلي :

تصعيد منافسة امريكا

تخوفت بريطانيا كثيرا عندما لمست النجاح الذي بدا يحققه مشروع « الامن الخليجي » وشعرت بخطورة العزلة التي ستفرض عليها اذا ما نجحت امريكا في اخراج هذا المشروع الى حيز الوجود . وزاد من تخوفها مشاهدتها حذاقة الجوكي الامريكي في الامساك بلجام جواده الايراني ومهارته الفائقة في حثه على الجري متى راى الطريق منبسطة وممهدة ، والخب به في المنعطفات الوعرة التي تستدعي التريث ، لكن عينها لم تلحظه يتوقف بل مستمر في انطلاقته نحو هدفه الذي حدده بوضوح .

ولم تجد بريطانيا حصانا تلج به حلبة الصراع من احد الصافنات العربية الذي يتدفق في شرايينه دم اكبر احتياطي نفطي وينظر بعين « الحسد » الى العناية التي يبديها السائس الامريكي لغريمه الايراني، مما يقلل من قيمته ويحط من قدره داخل اصطبل الجياد المراهن عليها .

هنا بالضبط تقاطعت خطوط السياسة السعودية ـ البريطانية ، والتقت مصالحها المشتركة وهو ما كانت تبحث عن هذه الاخيرة . ولن تتردد في استثماره لصالح صراعها مع امريكا وهذا ما جعل كالاهان يتجرا ويعلن في البحرين عن « انسحاب الامريكيين من البحرين في المستقبل القريب وهذا عمل حكيم فلا يوجد مبرر حقيقي للمحافظة على الوجود الامريكي في الخليج العربي ، لا سيما اذا كان الخليج يستطيع التعاون لحماية مناطقه » .

وهو يضرب بذلك عصفورين بحجر واحد . ان ذلك لا يعني ان المحور السعودي ـ البريطاني هو الذي يتصدى للمخططات الامريكية او مؤامرتها ضد نضالات شعوب الجزيرة والخليج ، وانما يكشف بعض جوانب الصراع بين الاقطاب الامبريالية من جهة وانعكاسات ذلك على عملائهم في هذه الساحة ، كما انه لا يعني انحياز السعودية النهائي الى المعسكر البريطاني . حيث ان تقاطع خطوط سياستها الراهنة لا يجب ان يطمس الخطوط الاخرى ، والتي هي ايضا متباينة ولا تحتوي على اي نقاط التقاء . ولا يبعد عن اذهاننا عمق العلاقة التي تربط نظام الرياض بواشنطن والتي تعبر عن نفسها في مواقع وساحات اخرى .

• استثمار الرصيد العربي لصالح صراعها القادي

في لقاء روما استمات ويلسون رئيس وزراء بريطانيا من اجل انتزاع مقعد خاص ومستقل في مؤتمر الطاقة والمواد الخام الذي سينعقد في العاصمة الفرنسية من هذا الشهر . وهو يدرك في قرارة نفسه ان الحديث عن انتاج بحر الشمال يصبح مثار الاستهزاء ، ونفطه يتحول الى عبء على شركات استخراجه في حالة منافسة النفط الخليجي له . من هنا كان لا بد من ترتيب مسالة الاسعار واستخدامها كعامل مساعد يعطي بريطانيا فرصة الظهور على مسرح مؤتمر باريس مع ممثلي الدول المنتجة . هذا ما تؤكده تصريحات كالاهان في الكويت حين يصر على موقف بلده من حصولها على مقعد منفصل في مؤتمر باريس ، ونيتها في عدم التزحزح عن هذا الطلب .

وحديث كالاهان عن حياده في الحوار الكويتي مع الشركات البريطانية هو حلقة من مخطط ارضاء حكام النفط وسعيه في الحصول على دعمهم .

• تعزيز مواقع النفوذ البريطاني في عمان

عمان هي اخر المواقع التي ما زالت بريطانيا تحتفظ فيها بقواعد عسكرية علنية وهي المستعمرة الوحيدة ، بعد ايرلندا ، التي يخوض فيها الجيش البريطاني حربا استعمارية شبيهة بتلك التي كان يقوم بها في القرن الماضي . وطبيعي ان مجرى سير الحرب والتطورات التي تشهدها هي محط اهتمام الحكومة البريطانية ، خاصة وانها لم تعد تثق في تصريحات قابوس حول قدرته على وضع نهاية لتلك الحرب ، وتفضل ان تعاين المسالة على الطبيعة الى جانب ذلك تريد ان ترى طبيعة وحجم التواجد الايراني العسكري في عمان ، وما هي آفاقه ، خشية ان يتوسع وبشكل سري دون ان تكون محيطة بشكل دقيق وتفصيلي بكل جوانبه . لا نستثني وجود عملاء وخبراء بريطانيين يملأون السلطنة ، ويرسلون التقارير اليومية ، ولكن اطلالة شخص خبير وبعيد عن المشاكل اليومية تعطي رؤية اكثر صفاءا واشد وضوحا .

هذا ما جعل كالاهان يصر على زيارة صلالة ويجتمع هناك بكل من قابوس ، والجنرال كنيت بيركنز قائد الجيش القابوسي ، وبعد ثلاث ساعات من المحادثات يعلن كالاهان : « ان لعمان وبريطانيا مصلحة مشتركة في تحقيق الاستقرار السياسي في شبه الجزيرة العربية » ثم يضيف الى تفائله بوجود املا معقولا في نهاية مبكرة للحرب الدائرة في سلطنة عمان .

بهذا يريد الوزير القابوسي ان يؤكد سير الحرب لصالح المعسكر القابوسي وان يطمئن دولته التي تخشى ان تسقط عمان ثمرة يانعة في سلة العم سام بدلا من الاسد البريطاني .

التحرك الامريكي

واشنطن لم تقف ساكنة امام هذا التحرك البريطاني ولكن دروسها في الهند الصينية تجعلها تتريث قبل اتخاذ خطوة قد تندم عليها وتدفعها الى تفضيل المواجهة غير المباشرة التي غالبا ما يقوم بها العملاء المحليون . ولم تكد زيارة كالاهان تشرف على نهايتها حتى بدات امريكا تحركها المضاد الغير مباشر فتوجه هويدا رئيس وزراء ايران نحو البحرين في زيارة استغرقت ثلاثة ايام . واذا ما عرفنا ان هذه هي اول زيارة يقوم بها مسؤول ايراني بهذا المستوى الى هذه الجزيرة منذ ان اسقطت ايران ادعاءاتها الباطلة عنها بعد مسرحية ممثل الامين العام للامم المتحدة في عام ١٩٧٠ ، نستطيع ان نرى حجم المواجهة التي ارادت امريكا ان تعطيها لهذا الصراع . اذ ان زيارة هويدا هي رد مزدوج على المحور السعودي البريطاني . فبالنسبة للسعودية لا شك انها لا تنظر بعين الرضى للاتفاقية التي وقعت بين البحرين وايران والتي وصفت انها الاولى من نوعها التي توقعها هذه الاخيرة مع احدى امارات الخليج . وبالنسبة لبريطانيا سترى فيها الاصابع الامريكية التي تمتد لتمسح ما قام به كالاهان .

واتت زيارة زايد بن سلطان لتوجه ضربة جديدة لذلك المحور ، الذي اعتقد احد اقطابه ـ السعودية ـ ان زيارة فهد الاخيرة للامارات عززت مواقع الجناح السعودي داخل اتحاد الامارات ، وتصور كالاهان ان